دقات على أوتار القلوب

وهي

﴿ سلسلة من الرسائل الاخلاقية الاجتماعية ﴾

(بقلم)

يوسف حمدي يكن

الطبعة الاولى

ثمن النسخة خمسة قروش صاغ

بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر

سنة ١٩٢٢

دقات على أوتار القلوب

وهي

﴿ سلسلة من الرسائل الاخلاقية الاجتماعية ﴾

(بقلم)

يوسف حمدي يكن

الطبعة الاولى

ثمن النسخة خمسة قروش صاغ

بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر
سنة ١٩٢٢



عودت يا قلمي بياناً صادقاً
ما عابه ان لست اول من صدق
يكفي من التوفيق انك كاتب
وحي الضمير الى اللسان على الورق

يوسف حمدي يكن

مقدّمة

مما نشر لي في جريدة « المقطم » الاغر سلسلة من الرسائل الاخلاقيــة الاجتماعية ، عنوانها « دقات على اوتار القلوب » كانت تنشر متتالية في كل اسبوع

هــذه الرســائل ، زادها قيمة في نظر الناس ما تفضل بتسطيره حضرات العلماء الاجلاء اصحاب المقطم تعليقاً عليها ، تحت آخر رسالة نشرت منها

هذا التعليق ، لم يبق لي ما اكتبه في مقدمة كتبي ، فهو المقدمة ، وهو الخاتمة ، لولا ما اندمج فيــه من ثناء فوق ما استحق

ولقد نصح لي كثيرون بطبع كتابي هذا ، وها أنا عامل بنصحهم ابتغاء رضائهم ، والله ولي التوفق

يوسف حمدي يكن

التعليق

(المقطم) ختم حضرة الكاتب الفاضل يوسف حمدي يكن بك هذه الرسائل التي يطرف بها القراء وكان المظنون انه يواصلها و يمتع محبي الادب بما رزق من حسن التعبير وبراعة التحبير و وصف ما يقع تحت الدين والدلالة على مافي الاجتماع من ادواء برقيق العبارة السليمة من عيوب النقد والبالغة الغاية من بلاغة الانشاء

والذي نعلمه مما سمعناه وكتب الينا ان جمهوراً كبيراً من القارئين والقارئات استعذبوا هذه الرسائل واستلطفوا الاسلوب الذي افرغت فيه كما اعتبروا الغاية الشريفة التي يلتمسها كاتبها بالدلالة على مايشاهده معظم الناس و يعجز كثير منهم عن وصفه فيعيه مع ما يعي في صدره حتى اذا اطلع على صورة دقيقة انيقة له كالصور التي رسمت في هذه الرسائل بيد كاتب ماهر عرفها في الحال وادرك انها تصف مافي محفوظه وتعبر عما في نفسه فيشعر بالارتياح الذي يشعر به كل من يطالع رسائل البلغاء واقوال الكتاب القابضين على ناصية صناعتهم والجامعين بين صحة المباني ودقة المعاني والذين يخاطبون قلوب قرائهم من قلوبهم

فيكون من هذه الى تلك رسول ويكون من الرسائل دقات على اوتار الافئدة

فعسى حمدي بك ان يضاعف همته ويستأنف هذه المباحث الاجتماعية التي تجمع بين الفائدة والفكاهة وتضم الى ما فيها من النصح النافع ما تحلت به من الادب البالغ والبراعة في سبك العبارات وابراز المعاني القيمة كاسية حلة قشيبة من بلاغة الانشاء وهذا ضرب من البيان تزيده ندرته قيمة في العيون

دقات على أوتار القلوب

(١)

(بائس وشاعر وغني)

قصد بائس دار شاعر، فلما التقى به قال له : يا ملاك الادب، اريد منك ما استجدي به ملكاً من ملوك الذهب، فانظم لي شيئاً يسهل علي حفظه، لانشده بين يديه، صف له بعض ما انا فيه، وامزج بكائي في شكاتي بتبسماتي في نكاتي، ان اكثر هؤلاء تضجرهم الشكوى اذا خلت من مضحكة مصطنعة، ويل للبائس، انى له ان يضحك في عويله، هذا ما لا يأتي به سوى الشاعر في شعره

قال الشاعر: حسن ياهذا، سأجيبك الى طلبك، لكنني لا ادري كيف يتيسر لك ان تقابل ذلك الغني وانت بهذه الهيئة، على بدنك اطمار بالية لاتستر جزءاً منه، وفوق رأسك طربوش كان احمر فاصبح اصفر، له زر ينقص كل يوم، كأنه علاوة الحرب، وفي رجليك نعلان الحفى خير منهما، قل لي بربك، ما الفرق بينك وبين صغار الموظفين

عجز البائس عن الجواب، واخذ الشاعر قلمه، ففكر وسطر؛ حتى اذا ما فرغ من كتابته قرأ على زائره ما جادت به قريحته، ثم ناوله اياه غير منتظر شكراً، وقال سر على بركة الله

مشى البائس في نار الهجير ، كلما مر به قطار من (الترام) لعنه ، لانه لا يملك اجرة ركوبه ، وقبلة آماله في ضاحية نائية ، لم يبلغها الا بعد ان وقع وقام ، ثم وقع وقام ، الى ان بلغ قصر الغني ، وكانت الشمس على وشك الغروب ، ولسان حاله يقول

مشيناها خطى كتبت علينا
ومن كتبت عليه خطى مشاها

فأبصر بالغني خارجاً من باب قصره ، يحيط به خدمه ، والمقربون منه ، فوقف بين يديه ، وحيّاه تحية اقرب منها الى السجود للمعبود ، فنظر اليه الغني نظرة الخالق الى النملة ، وقال ، ماشأنك ، فأنشد

الفقر يا مولاي داء عضالْ ... تدك منه راسيات الجبالْ
ازال عن وجهي ماء الحيا ... وكل شيء صائر للزوالْ
يقتلني بالجوع ياسيدي ... ولست معتداً لرد القتالْ
حباله مُدت فلا تنتهي ... وانت من يقطع هذي الحبال
اسأل مولاي بلا خشية ... لانني اعتدت كثير السؤآلْ
ان يبذل المال الى بائس ... مثلي فان الحال والله مالْ

فضحك الغني وقال ، وانا (مالي)

هذا حديث اليوم ، وسيتلوه في مثل هذا اليوم من كل اسبوع حديث جديد

(٢)

﴿ لا في الجنة ولا في النار ﴾

كان لاحدى المتصرفيات ، التابعة لولاية من ولايات الحكومة العثمانية ، في عهد المرحوم السلطان عبد الحميد الثاني ، متصرف يميل الى معاشرة الادباء ، له جليس اديب ، من كتّاب احد الاقلام ، اصطفاه المتصرف وقربه منه ، لأدبه الجم ، وذكائه النادر مثاله ، وحسن بيانه فيما يقوله ويرويه ، فكان الاديب لا ينقطع عن زيارة صديقه العظيم في قصره ، واذا حال دون مجيئه يوماً حائل الفى رسل المتصرف لدى الباب يستعجلونه في المجيء

اصيب الاديب بمرض شديد ، فلازم فراشه ، وعلم المتصرف بأمره فلم يكرر سؤاً له عنه ، خاف ان يستنجد به في حال كربه ، وماذا يعمل اذا لم تكن النجدة من طباعه

بات المريض في فرش آلامه ، يفكّر في امره ، امامه زوجته ، وحوله صغاره ، لا يدركون مما يجيش بصدره شيئاً ، انه كان يناجي ربّه ونفسه ، انه كان يقول : اللهم رحماك ، ليس في الدار شيء مدّخر ، سيقولون غداً يجب احضار الطبيب ، ماذا إعطيه للطبيب ، ومن اين لي ثمن الدواء ، المتصرف لن يسأل عني بعد اليوم ، انه يخشى ان ادعوه الى نجدتي ، يالها من حماقة ، أأموت خاسراً عزة نفس

ما اذلّها الاملاق ، ام اعيش مأسوراً بفضل رجل مثلي ، يا ايها الحظ كم تخطيتني ، ويا ايها الشرق ما اعجب شانك ، أأكون عند الامة في الصف الاول من أدبائها ، واكون عند الحكومة في الصف الآخر من رجالها ، هذا مالا يطاق ، ويحي ، وويح من هم حولي مما نلاقيه ، فاقة ومرض ، اللهم انا بك نستعين

ولما تجلّى ضوء النهار انتبه المريض مما كان فيه ، نظر يمنة ويسرة ، فلم ير غير كبرى بناته ، وهي طفلة في العاشرة من عمرها ، كانت تلاطف اخاها الصبيّ في ناحية من الغرفة ، فسألها اين والدتك ، قالت سأقول الحق يا ابتي كما عودتني ، على شرط ان لا تخبرها بما سمعته مني ، قال تكلمي ، قالت ان والدتي ارسلت في الليل ابن جارنا ليدعو طبيب المتصرفية ، فقيل له انه ذهب الى قرية بعيدة لأمر خطير ، ولما حار الولد ارشدوه الى طبيب آخر ، وهذا رفض المجيء معه ، واشترط ان لا يبرح مكانه ليلاً الاّ اذا نفح دينارين ، وان لا يتحرك نهاراً ، الاّ اذا اخذ ديناراً ، يا أبتي ما اقسى قلوب الاطباء ، قيل ان فيهم من يعالجون الفقراء بلا اجر ، فهل تصدق هذا . قال يابنيتي في الناس الطيب والخبيث ، ولو عرف كلٌّ واجبه لارتاح الجميع ، لكن دعينا من هذا الآن واتمي حديثك ، قالت : فلما بدا الصبح ، اخذت والدتي سواري الذي اهدته اليّ تلك السيدة الكريمة الغربية ، لما

زارت مدرستنا واعجبتها اجابتي يوم الاختبار ، وقد ذهبت والدتي لتبيع السوار وتدعو ذلك الطبيب ، اذ لايوجد الآن في بلدنا سواه

لم يمض على حديث الطفلة سوى دقائق معدودة ، اعقبها دخول والدتها مقبلة على زوجها ، تتظاهر له بالابتسام ، وتهم بان تخبره بما استطاعت ان تلفقه ، لتدخل على قلبه بعض الارتياح ، فقالت : ان الله لا ينسى عبده ، لقد صدر الأمر بان يعطى لك مرتب شهر من مرتباتك المتأخرة ، لتصرفه على علاجك ، وقد قبلوا امضائي بدلا منك ، اخذت ثمانية دنانير ، فارسلت الى الطبيب ديناره ، وسيأتي بعد قليل

كان الطبيب رجلاً قديم العهد ، له وجه كجدول الضرب ، وجسم ثنته الايام من نصفه ، فاصبح كحرف الدال ، بين انفه وحذائه شبر أو أدنى ، رآه المريض داخلاً عليه فأدهشه مرآه ، قال له ماذا فقدت ياسيدي الطبيب ، ادرهم وقع منك أم دينار ، فنظر الطبيب اليه شذراً ، وقعد على كرسي بجانب السرير ، فلم يبلغ رأسه مستوى الفرش ، هنالك عرف الاديب حال الطبيب ، وتزاحمت في رأسه خواطره وتصوراته العجيبة ، فنسي مرضه وواجب التحية ، وضحك قائلاً : كان الواجب على اهل بيتي ان ينزلوني مكانك الى هذا الكرسي ، أو يرفعوك مكاني على هذا السرير ، ليسهل عليك جس النبض ، ماذا

اعمل ياسيدي ، أأمدّ لك يدلا من يدي رجلي ، أم ادعو من يجلسك على حجري ، فغضب الطبيب ، وخرج ساخطاً

مضت ايام شداد ، كان ختامها ابلال الاديب من مرضه ، فذكر صديقه المتصرف ، وعزم على ان يزوره ، فلما دخل عليه ، قابله المتصرف ومن كان معه بالترحيب ، واجلسه بقربه ، وسأله عما قاساه فوصف له ماعاناه ، ثم حدثه بما كان من امره مع الطبيب ، وختم حديثه بقوله : ولقد شفيت بعد ان قطعت من طريق الآخرة شوطا بعيداً ، قال المتصرف : اذن رأيت الجنة ، قال نعم . قال ولمَ لم تدخلها الم يكن نعيمها افضل عندك من شقائك هذا ، قال بلا ريب ، لكنهم سألوني عن تابعيتي ، فلما اخبرتهم بعثمانيتي قالوا : انتم معشر العثمانيين اعطاكم الله أوسع البلاد واحسنها ، فافسدتموها ، وتريدون ان تفسدوا علينا الجنة ، اذهب ياهذا من هنا ، فضحك الحاضرون اذ ادركوا قصده ، واشتد غيظ المتصرف ، فاراد ان يؤلم الاديب فقال : ولماذا لم تذهب الى جهنم ، قال ذهبت يامولاي ، وهناك سألوني عن درجتي في الحكومة ، فلما اعلمتهم بها قالوا : ليس لدينا هنا مكان لصغار الموظفين

(٣)

(المتبرجات)

أسـيدة السوق لاتغضبي   اذا قلتُ حقاً ولا تصخبي
حجابكِ هذا حجابُ السفور   تبديت منه ولم تحجبي

انت من ورائه ، كصورة من وراء زجاجة ، كل شيء ظاهر ، يكاد مخاطبك يعد اسنانك المستعارة ، تفاليت في تبرجك ، تبديت في طلاء كاذب ، اخجلت جماعة المصونات ، ان جباههن تندي حياء كلما رأينا مثيلاتك ، ما اكثر الوانك في شعرك ووجهك وثيابك ، ما اشبهك بقوس قزح ، تعالت الاصوات من كل جانب ، رجال ونساء ضاقت صدورهم مما انت فيه ، انتقدوا ونصحوا واشتكوا ، كل ذلك ذهب صرخة في واد ، فلعلك اليوم مصغية الى ما اقول

غفلتِ عن الدار والواجبات   وراقكِ لهو بلا موجبِ
ولم تخجلي من عيون تراكِ   وتعجب من حالكِ الاعجبِ

انظري دارك ، فيها جيش لايحصى ، من بق وقمل وذباب ، لا مكان لزائرة تجلس فيه ، غشى التراب كل مكان ، وهل ترى العين شيئاً في موضعه ، كلا ، الثياب مبعثرة ، في كل زاوية قطعة ، وامام المرآة نصف بطيخة ، أكل نصفها الآخر منذ اسبوع ، يطير الحمام من غرفة النوم الى غرفة الاستقبال ، له أوكار على استار النوافذ ، واذا تسمع

لضيف من الاقارب ان يقعد على أحد المقاعد خرج من تحته ارنب فارعبه ، كل هذا لانك غفلت عن واجبك في دارك ، واحللت مكانك خادمة احست ان لا رقيب عليها ، ورأت ان سيدة الدار خالفت سنة المخدرات ، واصبحت سيدة السوق ، لا تعرف سوى التغالي في زينتها والتمادي في لهوها ونزهتها ، من الدار الى الزار الى كل حانوت يصادفها نقلدتك الخادمة في اهمالك ، ولا لوم على المأجورة اذا اهملت صاحبة الدار

وكم لك في الزار من مطلبٍ   وكم للعفاريت من مطلبِ
يسرهم منك بذل النضار   وانْ يسرك ان تلعبي

أقسم لك : بكل مارد اسود ، وجن احمر ، وعفريت ازرق ، انك كاذبة في دعواك ، وان الذي التبس عليك فهمه ان كل واحدة من نظيراتك (الملبوسات) تعتقد في حال كذبها صدق سواها ، فليس في استطاعة احداكن ان تبوح بسرها ، وكيف تبوح بعدما اصبحت تنفق بسعة مما تأخذه من ولي امرها باسم (الاسياد)

وفي الزار ما اشتهت نفوس مثيلاتك من لعب وطرب ، فهو معرض من معارض الجمال ، تختال فيه كل مغرورة بجمالها في ثيابها وحليها ، ولاهمّ (للكودية) الا ما يصل اليها من النذور ، ومن البخور ، فاذا كنتِ مصرة بعد هذا على ان لا تخرجي من هذا الباب ، فما أضيع صوت المناديات بحق الانتخاب

(٤)

(نموذج من صلابة الوجه)

صلاب الوجوه في الدنيا كثيرون ، واصلب الناس وجوهاً هم فريق من الجهال ، يعترضون النساء في طريقهن ، فيضايقون انفاسهن بسماجتهم ، ويحرجون صدورهن بوقاحتهم ، لا يفرّق الواحد منهم بين المصونة وغيرها . ولا يبالي بما يجنيه على الاخلاق والآداب امام الملأ هؤلاء بلاء على بني آدم ، يخافون ولا يستحون ، قليلون في مجموع الامة لا اكثر الله منهم ، لكنهم على قلتهم لا يخلو منهم مكان ولا طريق وكم لهم من المخازي ما لا تحتمله النفوس

حدثني من لا يكذب ، قال : جاءني خادم لعائلة انا طبيبها الخاص ، فاخبرني ان سيدته قد فاجأها مرض شديد ، فاسرعت اليها ولما دخلت المنزل وجدتها مصفرّة الوجه ، هائجة الاعصاب ، مضطربة القلب ، كأنها تصارع الموت ، وبجانب سريرها زوجها المسكين ، اذهله منظرها الاليم فجمد مكانه كأنه تمثال

فحصت المريضة فحصاً دقيقاً ، فتبين لي من حالها انها صادفت في يومها ما اهاج غضبها ، وقبل ان أبدي رأيي هذا بادرت الى اسعافها بما يلزم ، حتى اذا هدأ تأثرها ، وحسنت حالها ، وذهب عن زوجها الروع ، عرفته ما تبين لي ، فقال لقد صدق نظرك ، واذا شئت فأني

محدثك بما ارجو من الله ان يهبك صبراً على سماعه ، فقلت هات ماعندك ، قال :

خرجت السيدة مع خادمتها لتشتري بعض ماتحتاج اليه . وبينما هي تنتظر قطار الترام ، اذا برجل حسن البزة اقترب منها ومعه رفيق له ، فنظر اليها ، والتفت الى صاحبه فقال : ما اجملها أ أقبلها ، قال رفيقه أ أنت مجنون ، قال بل اعقل منك ، اذ لا يفوز باللذات الا المجازف ، ثم خطا نحوها خطوة ليسمعها مقاله بصوت منخفض ، فقال : وماذا تستطيع ان تعمله هذه الحسناء ، اذا شتمتني ، فما اسعدني بسماع صوتها الرخيم ، وما احلاها في عيني حتى وهي متجهمة ، واذا ضربتني فماذا تفعل كفها اللطيفة في صدغي ، واذا تفلت على وجهي ، فهل يسوءني ان يغمر وجهي ريقها العذب ، ثم زاد دنوّاً منها ، وحياها قائلا : اسعد الله المساء ياسيدتي

صمتت السيدة ولم تعره التفاتاً ، وهنا اقبل القطار . فركبت مع خادمتها في مكان السيدات ، وافلت ، الرجل من صاحبه فاخذ لنفسه مكاناً مع الرجال ، ولما جاء (الكمساري) اعطاه الرجل نقوداً وقال معي سيدتان ، فعاد الكمساري اليه بعد قليل وهو يقول : يا افندي ، السيدتان تقولان انهما لاتعرفانك ، فما كان من الرجل سوى ان ابتسم متعجباً وقال : هل يؤدي الغضب الى هذه الدرجة ، يا أخي ان احداهما

زوجتي والاخرى خادمتي ، فخذ انت الاجرة من السيدة الا ن ، وسأحاسبها على هذه الاهانة ، و بعد برهة عاد الكمساري يضحك قائلا: السيدة تقول عنك انك كذاب ، فهز الرجل رأسه وأجاب : لا بأس ، الله يعلم من منا الكاذب

وقف الترام في « العتبة الخضراء » ، فنزلت السيدة وخادمتها ونزل الرجل بعيداً عنهما ، فلما مشيا ، تعقبهما ، ثم لحق بهما وقال : ايجوز لسيدتي ان تحرجني في القطار ذلك الاحراج ، ماذا عملت حتى أهان الى هذا الحد ، اهكذا يكون جزاء اللطف ، قالت السيدة : يا افندي اذا لم تبتعد عني دعوت « البوليس » ليأخذك ، قل يا ايتها العزيزة ، لا شأن للبوليس مع امثالي ، انه في شغل عن كل امر بما يسعى في جمعه لمنزله من ايدي الباعة ، ففي هنيهة ، اريد ان أقدم لك قدحاً من عصير الليمون (ليموناده) انه مفيد في هذا الحر ، فلم تجبه ، ولم تنظر اليه ولا بمؤخر العين ، وزادت في سيرها اسراعاً ، والثقيل بجانبها يكاد يمس زنده زندها ، فصادفها حانوت لتاجر احذية ، رأت ان تلج بابه وان لم تكن في حاجة الى حذاء ، فلما دخلت ، خشي الرجل ان يدخل معها فيخرج مهاناً من صاحب الحانوت ، فوقف ، واختار مكاناً في زاوية يرى منه الخارج من الحانوت ولا يرى ، وفي هذه الاثناء مر به بائع ازهار ، فاشترى منه باقة بديعة الصنع ،

وظل واقفاً ساعة كاملة ، خرجت بعدها السيدة ، وفي يد خادمتها ... فيها حذاء ، اضطرت مولاتها ان تشتريه بعد ان عرض التاجر ... أنواعاً كثيرة

مشت السيدة وهي تقول لخادمتها ، لاشك في ان هذا الوقح الانتظار فذهب الى حيث لا يرجعه الله ، لكنها ما اتمت خطابها والوقح امامها يمد اليها يده بباقة الزهر ويقول : تقبلي ياحبيبتي ممن لبث في انتظارك ساعة على قدميه ، لم ييأس من رحمتك بعد ان لقي منك ما لقي من الاعراض ، ها هو الحوذي واقف ، تفضلي انركب معاً ، يكفيني اليوم بعد هذا العناء ان اقعد بجانبك وأقبل يدك ، ولا اطمع في اكثر من هذا ، فلم تفه بكلمة ، الجم الغضب فاها ، وامسكت بيد خادمتها فوجدتها كقطعة ثلج . فعلمت انها لاتقل عنها انفعالاً ، ومشت كأنها تعدو ، متجهة الى مركز البوليس ، هنالك ادرك الرجل قصدها ، فوقف يشيعها بأقبح السب واشد الوعيد

بلغت السيدة مركز البوليس ، فوقفت امامه هنيهة لتحتمي به ، ومرت عربة فاستوقفتها وركبت مع الخادمة غير مصدقة بالنجاة ، وما بلغت باب الدار الاّ وهي واهنة القوى ، فسقطت ، وحملها الخدم الى غرفتها ، ولما افاقت ، سألتها عما بها . فقصت عليّ قصتها ، وما اتمت حديثها الاّ وفاجأها ما رأيت

(٥)

(ما ليس في الحسبان)

قيل ان فتى ممن خصهم الله بأحسن الصفات ، فكان كريم المحتد ، رضيّ الخلق جميل الخلق ، غزير المادة في كثير من العلوم ، لا يميل الى سوى الجد ، احرز منصباً يليق بأمثاله ، ففكّر والده في امر زواجه ولا يقانه ان ولده يستحي ان يجيبه بشيء اذا خاطبه سائلا رأيه في هذا الأمر ، فقد رأى الوالد الحكيم ان يختار من اصدقائه من يكون واسطة التفاهم بينه وبين ولده ، هذه سنّة من سنن الادب الصحيح ، هُجرت كأمثالها من الكثيرين في هذا الزمان

كان الفتى في غرفة مذاكرته ، فدخل عليه تابعه ينبئه بقدوم صديق حميم لوالده ، قال الفتى فليتفضل ، وجاء الصديق ، فاستقبله الفتى بما يليق به من الاجلال، وبعد التحية، قال الصديق : يا ايها العزيز انك بحمد الله قد اجتزت دور التعلم والاختبار الى دور العمل والحكمة فلا بد من البدء بأهم ادوار الحياة ، وهو الاقتران ، اني رسول والدك اليك ، جئت لأسألك رأيك في امر زواجك ، لاتخجل مني ، وخاطبني كصديق بما تراه. فتصبب العرق من جبين الفتى حياء من صاحب ابيه ، لكنه راى ان لابد من الطاعة والكلام ، فقال : ان

كان لابد من الزواج فاني ابتغي زوجـة متعلمة ، طيبة النجار ، كاملة التهذيب ، راجحة العقل . لاتميل الى الفخر الكاذب والزهو الباطل، عالمة بكل مايجب عليها ، اود ان تكون هذه الصفات المتصلة بالانسان مدى العمر متجمعة فيها، اما الصفات المنفصلة الزائلة كالجمال والمال ، فليس من الضروري عندي ان تتوفر فيها جميعاً ، ولا ان تبلغ الغاية في نصيبها منهـا ، وحبذا لو كانت في سني او اصغر مني بسنتين على الاكثر ، هـذا رأيي في الزوجة ، وهنالك ياسـيدي مالا يروقني من عاداتنا في الاعراس ، لا يرضى بعضنا لبناته الا بصداق عظيم ، كانه يبيعهن ، وفينا من يدفعهم حب الظهور بغير حقيقتهم الى التغالي في (الجهاز) ومهرجان الزفاف ، فيخرجون عن حـد الاعتـدال الى حد الاسراف ، وقد يسوقهم ذلك الى الاسـتدانة أو البيع مما يملكون ، و بناتهم يطالبنهم بالمزيد ، فاذا تيسر يا سيدي وجود قرينة صفاتها ما ابديت ، ورأيها مارأيت ، فلا شك في اني سأحيا سعيداً

بحث والد الفتى واهله عن بغيته ، وقد هداهم الله فوجدوا ضالته المنشودة ، وحين وافاه البشـير بهذا التوفيق حمـد الله وأثنى عليه ، ثم تزاورت العائلتان ، وأتفقتا على اتصال النسب بينهما ، و بدأ الفريقان باعداد مايلزم ، متوسطين بين حـدّي الافراط والتفريط ، فلم يبذروا ولم يبخلوا ، وأجمعوا على أن يوحدوا يومي العقد والزفاف

جاء اليوم الموعود ، فكانت دار الفتى آهلة بالمدعوين من الاهل والصحب ، زينت زينة روعي فيها الاختصار مع جمال التنسيق ، وهكذا كان كل شيء مما أعد لذلك اليوم ، لم يكن في الدار واحد لم يعرف واحداً ، كان الجميع كاسرة واحدة ، ولما تم العقد الشرعي بقي الفتى مع اخوانه الى أن انتصف الليل وانصرفوا ، فصعد الى لقاء عروسه

رآها في غرفة الاستقبال واقفة، فحياها ، وبعد أن جلسا ، أخذ يحدثها بلفظه الخالب وأدبه الجاذب ، وبينا هما يتحدثان ، لمح الفتى اثر جرح صغير في جبين الفتاة ، فلم تخف وجهة نظره على فطنتها ، قالت هذا الأثر الصغير هو منذ حداثتي ، جزى الله مرضعتي فلانه ، هي التي أوقعتني من بين يديها ، فحدث ما رأيت اثره ، فأطرق الفتى قليلاً ، ثم رفع رأسه قائلا: وهل مرضعتك هذه لاتزال على قيد الحياة ، قالت الفتاة نعم ، ولقد كانت تود أن ترى يوم زفافي ، فحال مرضها الشديد دون ما كانت تود ، قال الم يكن بيتها في جهة كذا وزوجها يدعى فلاناً ، قالت أأنت تعرفها ، فاضطرب الفتى وقال : هذا ما ليس في الحسبان ، هذه مرضعتي يا أختي العزيزة

اني أمسك عن وصف حال العروسين ، بعد ان امسيا أخوين ، انها حالة لاتحتمل وصفها القلوب ، فيكفي ان اقول ان الشرع قد فرق بينهما ، وهدمت كلمة واحدة آمالا جساما

وبعد، فليس من المحال ان تقطع امثال هذه الواقعة الموضوعة، ان الباعث هيّن لكنه مما لم يفكرّ فيه كثيرون، وكم انتج مثله من امورنا الهينة اعظم المضار، وهل ضرر أعظم من ارتكاب المحرم واختلاط النسب، لا أدري لماذا لاتُرضع السيدة مولودها بنفسها، واذا كان هناك حائل من مرض او ضعف، فلماذا لا يتفق على ان تحمل كل مُرضع ورقة يذكر فيها اسم المولود الذي ارضعته واسم ابيه وتاريخ مولده، لتبرزها في كل بيت تدخله، فتنقل الوالدة مادوّن فيها، وتتقي بمثل هذه الحيطة الميسورة شراً مستطيراً، يأيها الناس لاتستهينوا بصغائر الامور

— ٦ —

الى الحقيقة ولاجلها

حجبوك يا شمس الجمالِ   فسموت عن اعلى مثالِ
مضت السنون وما هديـ   ـت السائرين على ضلالِ
واعدتنا أن تظهري   من تحت استار ثقال
فبدوت في ثوب الجلال   وحبذا ثوب الجلال
يا سر نور الكون ما   أحلاك في نظري وقالي
كم بت ابكي الوصول   فبت اسعدُ بالوصال

لا تعبأي بالناقمين عليك من سوء الخلالِ
ان انكروك فقد تعاموا عنك في طلب المحالِ
لسنا نجادل من يراوغ كل حين في الجدالِ
ان الذي عرف الحقيقة ليس يقنع بالخيالِ

يا كوكب الهداية ، وسفينة النجاة ، وطلبة المنصفين ، وفضيحة الظالمين ، وفرحة الابرياء ، ومأتم الآثمين ، وزهوة العالم ، وخجلة الجاهل ، يا كثيرة الاسماء الكريمة والنعوت الشريفة ، بحثت عنك في صحف الاولين ، واسفار الآخرين ، ومنطق الناطقين ، فما وجدتك الا نزرة ، كلما رُدّد الباطل الف مرة ذكرت مرة ، وانت مع هذا غالبة ناصرة ، فما اقلك وما اكثرك ، وما اخفاك وما اظهرك يا نعمة الوجود

ان في خلق الله من بني آدم اشتاتاً عجيباً ، تفرقوا ثلاث فرق ، اولاها ، من ارتضوك لهم وعليهم ، ما رجوا في اظهارك ثواباً ، ولا خشوا عقاباً ، هؤلاء هم اقل الناس في كل آن ، وكم خلت منهم عصور ، بحث (ديوجين) عن واحد من امثالهم فما اهتدى ، ثانيها ، من عرفوك فأخفوك ، وهؤلاء قسمان ، قسم اخافه من اظهارك بطش الغاشمين في العصور المظلمة ، وقسم لم توافقي امراض نفسه ، فأراد قتلك تحت طبقات متكاثفة من ظلمات الباطل ، وثالثها ، من يبدونك حين تكونين لهم ، ويخفونك حين تكونين عليهم ، فتارة ترضينهم ، واخرى

تضغينهم ، وانت انت لم تتغيري ، هؤلاء كثيرون وما اكثرهم في هذا الزمان

رأيت رجلاً ينادي سائراً امامه بقوله يا أقرع ، فلما التفت اليه واجابه : مالك يا اعرج ، حنق عليه وكاد يضرب به ، أرضيته ياحقيقة واغضبته في لحظة ، هذا مثال من حال الفريق الاخير ، والامثال كثيرة لاتحصى ، وما نسمعه منها عن جهالهم كذلك الاقرع وصاحبه الاعرج لايخالف ما نسمعه عن متعلميهم الاّ في قيمة اللفظ ، ذلك لان مكانك في الانفس لافي الرؤوس

وبعد ، فلا بد من اعلانك في ثلاث من عللنا الاجتماعية ، عسى ان يكون لقولي من الفائدة بعض ما أرجّيه

اولاً ، كثرة الاعتداء على ارواح الابرياء من الغرباء ، يخرج المرء من بيته آمنا ، فاذا توسط الطريق فاجأه الموت من يد قاتل لا يعرفه ، الوحوش لاتفترس الاّ اذا جاعت ، فما خطبك ايها القاتل ، انك في الحقيقة لم تفكر الاّ في ان تقتل فقتلت ، ما اخسك ايتها الانفس التي وردها الدماء ، لم يكن عملك من عللنا الاجتماعية فأصبح بتكرره من اشدها خطراً ، لقد اضفت الى امراضنا مرضاً جديداً ، لو فكّر القاتل انه بفعله يفقد المجموع الانساني رجلين اذا ارادا نفعاه بقدر طاقتهما لما قتل ، ومن العجيب ان يكون فينا من

يرون بعض القتلة وهم يفرون ، فلا يستطيعون لحاقاً بهم ، واذا سئلوا عنهم انكروا رؤيتهم ، امّا خوفاً منهم واما مللاً من السؤال والجواب ، أليس في هذا ما ينتج تفشي الداء بين اهل الحماقة منا ، ثم ماذا تكون العاقبة ، وبماذا تصفنا الامم الراقية ، يا أيها الوعّاظ واصلوا ليلكم بنهاركم في نهي الجاهلين عن اكبر الكبائر

ثانياً ، فينا طبقة تستطيع ان تقرأ ، لايزيد علمها عن هذا الحد ، كوّنت من بعض الصناع والمتجرين وغيرهم ، ماذا على هؤلاء اذا انصرفوا عن السياسة الى اعمالهم النافعة ، ان في الصحف من دروس الاقتصاد وسائر ما ينفع من المباحث مايغنيهم عن السياسة ، وللبلاد من فائدة اعمالهم التي يحسنونها امل لا ترجّي مثله مما لا يحسنون ، كل عمل لا يقوم به اربابه يكون ناقصاً ، ولا يأمن محاوله ان ينقلب نفعه الى ضده ، فليت اخواننا من هذه الطبقة لايشتغلون الاّ بما يجيدون من الاعمال

ثالثاً ، بيننا عدد ليس بالقليل من فتيان وكهول ، في اموالهم ، حق معلوم لاماكن اللهو ، الوف من الدنانير تصرف بين كل يوم وليلة ، لا في سبيل الضروريات ، ولا لاجل الكماليات ، وفي القطر من المشروعات النافعة والجمعيات الخيرية ، ما هي اولى بهذه الاموال التي تصرف فيما لا يفيد ، ان من يسمع شكاية الناس من الضائقة

العامة ، ليحار بين ما يسمع وما يرى اذا جال جولة حول اماكن اللهو وشاهدها مزدحمة بالمقبلين عليها ، ماذا عليكم ايها اللاهون ان اكتفيتم بما مضى ، ومددتم هذه الايدي الكريمة الي ما فيه رقيّ الاوطان

---

(٧)

زين حلوان وشينها

لا اريد ان يخلو كتيبي هـذا من كلمة عمرانية ، ان حلوان لمن اشهر المدن في هذا القطر ، يعرفها كثيرون من الغربيين الذين زاروا مصر منذ عهد المغفور له الخديو محمد توفيق باشا ، ورأوا هذه المدينة في ادوار حياتها من ذلك العهد الى اليوم ، اقيم فيها منذ سبع سنين، فهي تكاد تكون لي وطناً ، وهي بما يعلمه الناس من مزاياها جديرة باهتمامهم، كتب عنها من كتّاب العصر غير واحد ، فمنهم من لم يأت لها بحسنة ومنهم من لم يذكر سيئة ، جرى كلٌّ في قوله على ما شاءت الظروف ان يرمي اليه ، فلم يهمل الفريقان مالم يذكراه جهلاً به ، وانما لكل ما قصده في سبيل نفعها ، واني لآتٍ في هذا الفصل بما يستحق الذكر من ثمينها وغثها ، لعل في ذكرهما ما يفيد

لحلوان عدا هوائها الجيد ، ومائها الشافي ، وطرقها المتسعة ، مزية

عظمى ، هي ببعد المنازل عن بعضها ، فليس فيها منزل الاّ وهو ممتع بالهواء من جميع جهاته ، هذه المزية يقدرها الاطباء والذين يدركون ان الهواء اول الضروريات للحياة ، وان في بُعد المنازل ما يقي اهلها من انتقال الامراض فهي بهذه الميزة من خير المدن الصحية في مصر ، وبها المرصد الفلكي المشاد على هضبة عالية في شمالها الشرقي ، يقصده اهل العلم من المصريين والاجانب ، فنهم المستفيد ومنهم المشاهد ، وفيها من المدارس الكبيرة اثنتان ، احداها اميرية ابتدائية ، والاخرى اهلية اجنبية ، وفي الجنوب الغربي من المدينة حمّاماتها الكبريتية ، كم قصدها من المرضى من كانوا عاجزين عن الحركة ، فتمشى البرء في جسومهم الى آن تمت لهم نعمة العافية ، وفيها كثير من الفنادق العظيمة ، كفندق (الحياة) وهو الآن مهجور ، و (وتوفيق بالاس) وكان قصراً لساكن الجنان محمد توفيق باشا ، و (جراند اوتيل) وغيرها ، وهناك مكان بديع المنظر ، على شاطىء النيل ، فيه ما لذ وطاب من مأكل ومشرب ، وآخر امام فندق الحياة ، اضف الى هذه الاماكن (كازينو حلوان) الذي صادفته العناية في هذه السنة بعد ان اصبحت المدينة تابعة لمصلحة التنظيم المصرية ، فحسنت حال الكازينو ، كما حسنت حال الطرق من حيث النظافة ، وما جدّ فيها من الاشجار التي غرست على جانبيها ، اما الامن فيها فمستتب بفضل

رجال ضبطها ، وقد بدأنا نرى آثار العناية بتحسين مواصلاتها ، مما احدثته الحكومة من عربات السكة الحديدية ، هذه اهم اسس العمران في حلوان ، وانها لمما يروق الناظر من زينها ، فماذا يبدو للعين من شينها ، يبدو لها ماليس بالقليل

خصها الله بنفر من الماليين ، افادوها من وجهة واضروا بها من اخرى ، ابتاعوا قصوراً قسّموها الى بيوت صغيرة متجاورة ، اذا سعل الساكن في احدها سمعه جيرانه ، فان كان الامر غير السعال فماذا يكون الحال ، هؤلاء الماليون اذا اقتدى بهم كل ماليٍّ في المدينة فلا يمضي زمن طويل الاَّ وقد ذهب افضل ماتمتاز به عن سائر البلدان ، وفي شمال حلوان ، على طريق الذاهب الى المرصد ، احواض لترشيح الماء العذب ، انشيء بعضها في العام الماضي على سبيل التجربة ، و بعضها انشيء في هذه السنة ، وقد ذكرت الصحف ان ترشيح الماء سيتم في شهر يوليه من سنة ١٩٢٢ فمضى يوليه واقبل اغسطس وما زلنا في مائنا العكر ، والحمامات الكبريتية التي سبق ذكرها ، لا يتيسر الاستحمام فيها الاَّ لمن ملأ الله خزائنهم ، ذلك ان الشركة عاهدت الحكومة ان لا تأخذ من النفر الواحد اجرة تزيد عن اثنى عشر قرشاً في الدرجة الأولى ، وهي لا تقبل من الواحد الاَّ عشرين قرشاً ، يقول اناس ان الماء العذب يعطى لهذه الشركة بلا ثمن ، فاذا كانت

الحكومة لم تتساهل مع الشركة الا لنفع الناس فاي نفع لهم من هذه الشركة مع زيادة الاجرة عن الحد المبيّن في الشروط ، الحكومة عملت ما عليها ، والشركة لم تعمل الاّ مالها ، وفي حلوان فئة استأجرت بعض المنازل المتوسطة والصغيرة باسم السكن ، لكنّ الساكن قد يكتفي بغرفة أو اثنتين ويجعل الباقي (بانسيونات) بلا ترخيص من الحكومة ، هذه الاماكن يعرفها سماسرة المنازل وقليل من سكان المدينة ، لم يضع أصحابها لوحات تدل عليها خشية التزامهم بدفع رسوم الترخيص ، وفي هذا الحال مافيه من المضار التي لا تخفى على الناقدين ، ومن ملحقات المحطة قنطرتان من الخشب ، وموضع لمرور الناس والعربات يسمونه (المزلقان) ، اما القنطرتان فقد اخنى عليهما القدم ، اصلحتا غير مرةٍ برفع القطع الذائبة ووضع سواها ، ومع هذا فلا يمر عليها انسان الاّ واضعاً يده على قلبه ، واما المزلقان فله حاجزان ثقيلان يفتحهما ويقفلهما رجل واحد كلما مر القطار ، ينتظر المارة من مشاة وراكبين مدة تضيق فيها الصدور ، وفي مصر حواجز تفتح وتقفل بآلة خاصة بسرعة كلمح البصر ، فليت لنا واحدة منها بدلا من هذه العقبة الكؤد ، وجميع الطرق بلا استثناء في حاجة الى رصف حجارتها البارزة الغائرة ، وبعد هذا كله فان انواع المآكل من لحم وخضر وفاكهة غالية الثمن عن الاجود منها في مصر غلاء شديداً ، فاذا اتاح الله لحلوان من يزيل عنها هذا الحمل الثقيل فانها تبلغ ما تستحقه من العمران

(٨)

التطفل

اذا كان عديدنا يربو على اربعة عشر من الملايين ، فان عدد المتطفلين منا لا يقل عن مائة من الالوف ، قلّةً في كثرة هي اضعافها ، لكنها قلة معدودة بالآلاف

كنا لا نعرف من التطفل سوى انه نوع من الشّره ، يدفع صاحبه الى الدخول في كل مجتمع لفرح او حزن ، والاندماج بمن لا يعرفه احدهم ، فلا يقصد غير الوجود في الموائد ، وما كان هؤلاء بالمسيئين الاَّ لانفسهم ، لم تضق باعمالهم الصدور الرحبة ، بل كانت نوادرهم مما يتفكه به الكرام وها انا ناقل احدى لطائفهم

قيل ان فتى من اهل اليسار ، تخرج من الازهر الشريف حائزاً درجة العالمية ، وكان ذلك في عهد ساكن الجنان محمد علي الكبير ، فصدر امره الكريم بارسال هذا العالم مع من تخرجوا معه من رفاقه الى اوربا ، ليدرسوا هنالك العلوم الغربية ، فاراد العالم ان يدعو قبل سفره بعض اخصائه الى (ذهبية) له في النيل لقضاء يوم من ايام النزهة

بينما كان الرّبّان والنوتية وسائر الخدم في انتظار سيدهم مع ضيفانه ، اذا برجل في زي العلماء ، كل ما عليه جديد ثمين ، ضخم الجسم ، عرضه كطوله ، وله لحية اختلط سوادها ببياض المشيب ،

وقف امامهم ، فقاموا له اجلالاً ، قال لمن هذه الذهبية ، قالوا هي ملك للسيد فلان ، قال هذا من اولادنا ، ونزل اليهم ، فأدخلوه في مكان الاستقبال

اقبل السيد صاحب الذهبية مع ثلاثة من رفاقه ، فسأل اتباعه عمن سبق من اصحابه ، قالوا جاءنا عالم كبير ، وحدثوه بما رأوه وسمعوه ، فدخل صاحب المكان ومن معه متهيبين ، وابصروا بالضيف جالساً في الصدر كانه الرشيد ، رآهم فلم يتحرك ، وحيوه فرد التحية بعظمة الملوك ، ثم اقبل باقي المدعوين ، فرأوا هذا المنظر بعينه

جلس الجميع كأن على رؤوسهم الطير ، وكان صاحب المكان يحدّث نفسه بقوله : من هذا العالم ، كيف لم اعرفه ، لعله من المقيمين في مزارعهم ، ماذا يكون اذا سألته عن اسمه ، فقد ضجر اصحابي من هذا السكوت ، ثم نظر الى ضيفه وقال : هل يتفضل سيدي الجليل بذكر اسمه الكريم ليتم لنا الشرف ، قال الضيف : انا ياولدي عمك الحاج السيد الشيخ علي ، هنا تنفس الحاضرون تنفس المستريح ، وفهم السيد ان ضيفه من اكابر المتطفلين ، فأومأ الى اصحابه بما فهموا منه مراده وقال مبتسما : شرفتنا ياعم الحاج السيد الشيخ علي ، والتفت بعد ذلك الى اصحابه كانه يحدثهم بما لم يسمعوه فقال: اني ولدت في سنة كذا بمصر ، ومن اللطائف ان صادف مولدي اول السنة

الهجرية ، ففي اية سنة ولدت ياعم الحاج السيد الشيخ علي ، قال انا لا اتذكر التاريخ ، لكنني اعلم اني ابلغ من العمر اثنين واربعين سنة ، قال السيد اذن فلا تكون عم احدنا ، فان الفرق بينك وبيني وانا اكبر اصحابي لا يزيد عن سبع من السنين ، قال الضيف هذا حساب صحيح ، قال السيد بناء على هذا ، يجب ان تحذف كلمة عم وان نبقي الباقي ، انستنا ياحاج السيد الشيخ علي ، وعاود السيد حديثه فقال : وحججت في سنة كذا ، اعني منذ ثلاث سنين ، وكان امير الحج فلان باشا ، ولم نلاق بحمد الله في ذهابنا ولا في ايابنا ادنى نصب ، فمع من حججت يامولانا من امراء الحج ، قال الضيف : اني حججت مع والدتي بعد وفاة والدي بعامين وكنت لا اتجاوز السابعة من عمري ، قال السيد لقد حججت قبل سن التكليف ، فلنحذف كلمة الحاج كسابقتها ، ما اظرفك يا ايها السيد الشيخ علي ، ووصل السيد حديثه فقال ، واني اذكر ان مولانا الاستاذ الاكبر سألني في ذات يوم عما اذا كنت احفظ نسبة شرفي ، فتلوتها بين يدي فضيلته ، فهل تحفظ ياعزيزي نسبة شرفك ، قال ان والدتي تحفظها ، لان الشرف متصل بي من جهتها ، قال السيد : ان الشرف لا يتصل من الامهات ، فلنلحق كلمة السيد بأختيها ، ما الطفك ياشيخ علي ، واتبع السيد حديثه فقال : ومما احمد الله عليه ان مشايخي جميعهم احياء ، وهم فلان وفلان وفلان ، فعلى

من حضرت من ساداتنا الاجلاء ياشيخ علي ، قال انا لم احضر الا تلاوة بعض السور من القرآن الكريم على فقيه كان من اصدقاء ابي ، قال السيد وعلى هذا فكلمة الشيخ ادركت اخواتها ، انزل يا علي واقعد معنا ، اتحبقنا يا علي ، اهذا كله اتأكل معنا ياعلي ، ياغلام ، احضر الطعام لعم الحاج السيد الشيخ علي سابقاً !!

هذا مثال من لطائف ما يحكى عن اولائك المتطفلين ، واقد تفرع في زماننا من هذا النوع عدة انواع ، في بعضها ما يحرج المرء ، وفي البعض الآخر ما يؤذي فريق السذج من الناس ، فمن متطفلي زماننا من لا همّ لهم الاّ التعرف بلا واسطة ولا مناسبة باعاظم القوم ، ليقال عنهم انهم من هذه الطبقة ، قيل ان احدهم صادف رجلاً عليه دلائل الوجاهة ، فوقف امامه سائلاً هل انت فلان بك ، فاما اجابه الرجل بقوله لا يا سيدي ، قال له لماذا ، ومنهم المتطفلون على الادب ، اتخذوه وسيلة للارتزاق ، فانزلوا قدره وقدر الأدباء ، يترقب الواحد من هؤلاء زواج وجيه او قدوم عظيم ، فيهنئه بقصيدة لا تحاكي القصائد الاّ في تفليق السطور ، اذكر أني رأيت ثلاث نسخ مطبوعة من قصيدة واحدة ، كل نسخة في بيت وعليها اسم صاحب البيت ، ومنهم من يتطفلون على السياسة ، وهم ليسوا في العير ولا في النفير ، يلقون الدروس على من بأيديهم اعنة الامور ، فيحسبهم البسطاء

على شيءٍ ، عرف احـد الفضلاء من هؤلاء من لم يستطيعوا قراءة ما نشر في الصحف بأسمائهم قراءة صحيحة والسياسة في البلاد الغربية من العلوم التي يدرسها من احرزوا اكبر الشهادات العلمية ، فما أوسع المجال في بلادنا لهؤلاء الناس

---

(٩)

(ادب المناظرة)

ليس مرادي ان اضع نفسي في موضع من يعلّم النـاس ادب المناظرة ، ان فيهم من هم أدرى مني بأدبهـا ، بل اريد ان اضرب الامثال عما وصل اليهِ تأدب فئة من المتناظرين في هذا الزمان

قال الاقدمون ، مناظرك نظـيرك ، لـكنّ فينا من يحسب ان مناظرهُ عبد من عبيده ، فيخاطبه خطاب المولى لرقه ، بعد ان يجبهه بفاحش من القول يمجه كل مولى وعبد ، وفينا من يظن ان مناظره في منزلة التلميذ فيحادثه محادثة الاستاذ لأصغر طالب عنده ، قائلاً : ألاَ تعلم انك لم تصـل الى ما وصلت اليه ، ما ابعدك عن الحقيقة ، ما أشد غباوتك ، انت والله مخطئ ، بأمثال هـذه الجمل المرصوصة ينتهي درسه ، ويعتقد بعد ذلك انه اقنـع مناظره ، استغفر الله اردت ان اقول افاد تلميـذه ، واذا قيل له : انك تخطيت موضوع

المناظرة الى سواه ، اعاد ما قاله وكرر ما اعاده ، زاعماً انه شرح كلامه لمن لا يفهم عويص الكلام ، وفينا من يتخذ مناظره عدوًّا لدوداً ، فلا يكلمه الاّ بما يكلّم القلوب ، وقد تسوقه هذه العداوة العجيبة الى اقامة الحجة عليه بالعصا الى ان يفحمه ضرباً ، وفينا من يقاطع مناظره فلا يمهله الى ان يتم كلامه ، يوجه اليه السؤال تلو السؤال غير منتظر جواباً ، ثم يخرج من باب الاسئلة الى ذكر ما لا علاقة له بما يتباحثان فيه ، ويفخر بعد ذلك بأنه كان الفائز

لم يخلُ عصر من العصور من مناظرٍ جاهل ، او معاند ، او مزور ، او من يناظر ليقال انه ناظر فلاناً ، ليس في هؤلاء واحد من طلاب الحقيقة ، ويحزنني ان يكونوا في زماننا اكثر من امثالهم السالفين

وبعد ، فان في قصص هؤلاء مايضحك المرء الى ان يبكي ، ويبكيه الى ان يضحك ، حدثني عالم جليل ، قال جاءني كتاب من صديق وجيه ، يميل الى معاشرة أهل الفضل ، فلا يخلو مجلس له من بعضهم ، اخبرني في كتابه بأنه عرف منذ يومين رجلاً طويل الباع في كل علم وفن ، وان الرجل يزوره في ليلة الجمعة من كل اسبوع ، قال العالم : فاشتقت الى لقاء الرجل ، وعزمت على ان ازور الوجيه في اولى ليالي الجمعة المقبلة ، وفي الموعد ذهبت الى بيت الوجيه ،

بالفيته وحده ، قلت أين ذلك الحكيم العظيم الذى وصفته في كتابك ، فتبسم الوجيه قائلاً : ليس عندنا حكيم ولا عظيم ، لرجل عريض الدعوى في كل شيء ، لا يعرف من العلوم غير سمائها ، مولع بالمناظرة ، يروغ من مناظره ، فلا يستفيد سامعوه منه شيئاً ، وعندي ان من كان مثله فهو في المجموع الانساني (تكملة عدد) ، ومن العجيب اني رأيت في غير منزلي من يطأطئون له الرؤس خضوعاً ، ولو وصفت لك حقيقته لما تفضلت بهذه الزورة بمثل هذا الاهتمام ، الآن سيأتي الرجل فتراه وليس الخبر كالعيان

جاء الرجل ، يحيط به فتيان وكهول ، فيهم المعمم والمطربش ، واقبل على اثرهم اثنان من زوار الوجيه فكنا عشرة ، تبادلنا التحية وجلسنا ، نظرت الى الرجل ، فلم أر في سيمائه ، وهيئته ، وشكل تحيته ، وكيفية جلوسه ، ما يدل على انه من خاصة الناس ، قلت لنفسي : امثل هذا الرجل ينتقل بجأة مما كان فيه الى مجالس العظماء ، هذا صعود على غير سنة الارتقاء ، ما اشبهه بطاردة الذباب (المنشة) في انتقالها من ذنب الحصان الى وجه الانسان

اشار الرجل اليّ سائلاً ، من يكون الاستاذ ، قلت خادم علم ، فتبسم قائلاً : ما هو العلم ، قلت العلم ، قال العلم شيء لا يوجد في بلادكم ، لا تغضب يا حضرة الاستاذ ، قلت مهلا ان العلم ، قال ان العلم

يهذّب المرء فلا تقاطعني ، قلت من الذي يقاطع ، قال ما قولكم ايها الحاضرون ، انتصر لي ثلاثة ، وانتصر له خمسة ، وهم اشياعه ، فصفق وقال : الحكم للأغلبية ، الحمد لله على كثرة المنصفين، فصفق رجاله وقالوا عاش حكيمنا العظيم، قلت لا بأس ، فلنعد الى الموضوع، قال ما هو الموضوع عرّفه لي تعريفاً منطقياً ، قلت ألا ندع هذا الى ما بعد التكلم عن العلم ، قال لا تخلط ، اني اقول لك ما هو الموضوع قلت الموضوع ، قال نعم الموضوع هو الذي اسألك عن تعريفه ، قلت اني لم اقل كلمة الموضوع بلهجة السائل فأمهلني ، قال انا السائل لا انت ، ما هذا الحال يا استاذ ، مالك ارتبكت هذا الارتباك ، فضحك الحاضرون جميعاً ، ضحك انصاره سروراً واعجاباً ، وضحك انصاري تعجباً ، قلت لهم لا تعجبوا ، فما ينسب الى الامام الشافعي رضي الله عنهُ انه قال : ما ناظرني عالم الاّ وغلبته وما ناظرني جاهل الاّ وغلبني ، ثم قمت مسلّماً وانصرفت ، ولقي الرجل من صاحب البيت وصديقيه ما اخرجه مع رفاقه مقسماً ان لا يعود

هذه واحدة مما يحكى عن أولئك المتناظرين ، وكم لها من أمثال فيما يسمعهُ الانسان في بعض المجالس ، وما يقرأه في عدد من الصحف ، وبعد هذا يزعم بعضنا ان لا حرّية للقول ، فاللهم نسألك السلامة

(١٠)

(تجاوز حد المعقول)

اذا تجاوز المرأ حد المعقول في اي امر من اموره ، كانت النتيجة عكس ما أراد ، ليس في الناس من لا يخطئ ، ان العصمة لله ، لكنّ الذين يتعدّون هذا الحـد ممن يحول جهلهم دون تبصرهم هم في كل زمان اكثر ممن يتعدّونه مخطئين

الجاهلون منا ، يخرجون عن حد المعقول في امور عديدة ، منها ما هو جدير بأن يوضع موضع الاعتبار ، ومنها ما هو تافه لا قيمة له ، فمن أمورنا الهامة ، التربية ، ماذا يعمل بعضنا في هذا الشأن ، هأنا آت بمثال مما يعمل ، ان في الامثال ما تتجلىّ منه الحقائق للابصار

قيل ان أحد الذين أيسروا من المزارعين رزق ولداً ، فلما بلغ الولد السابعة من عمره كان أمر تهذيبه موكولاً لبعض الخدم ، ادخله ابوه في احدى المدارس الأولية ، لكنه لم يكلف نفسه عناء الرقابة على ولده ، واقتدت والدة الغلام بأبيه ، حتى اذا بلغ ابنهما الخامسة عشرة كان في كل أطواره واحداً من اولئك الخدم

أدرك الوالد ان ما نتج عن اهمالهما ، حارت الوالدة في أمرها ، ورأى الوالد أن لا وسيلة لتهذيب ابنه غير العصا ، فكان لا يكلمه الاّ بها ، لم يتوقع انه بضربه ايّاه لكل ذنب أو هفوة سيجلب عليه

بلاءين عظيمين ، أولهما نضوب ماء الحياء من وجه الولد ، ثانيهما عدم مبالاته بالضرب لتعوده عليه ، وهكذا كانت النتيجة ، فما كان من الوالد الاّ ان زاد على ضربه عقاب الطرد من البيت ، وقد فاته انه بهذا الجزاء الاخير يدفع ولده بيده الى هاوية الفساد ، ولقد وقع ما فاته ان يفكر فيـه

دهش الوالد لمّا رأى ان وسـائله ادت الى ضـد المراد منها ، فأطال التفكير والتدبير ، وكانت النهاية ان قضي بابعاده عنه ، قالت زوجته الى اين تريد ارساله ، قال الى اوروبا ، قالت امثل هـذا يرسل الى اوروبا ليزداد فساداً ، قال اني سأرسـله الى بلد ليس فيه احد من ابناء سراتنا ، ذلك لكي لا يجد من بينهم معيناً على الشر ، ولكي يشعر بألم الاغتراب عن الاهل والوطن ، فيكب على الدرس برغمه ، قالت انه بعد ان تمادى في غيه سيجد هناك مجالا أوسع ، اذ لا رقيب عليه ، قال اني اعرف هناك رقيباً لا يرقه ، وليس في وسعي ان اطيق النظر اليه بعد ما أصبح هذا حاله ، فلن اعدل عن رأيي

سافر الولد ، وكانت اخباره السيئة ترد الى والده مع كل بريد ممن وكل اليه امر رقابته ، وبعد اسابيع جاء كتاب من الولد الى ابيه ، يخبره فيه بنفاد ما لديه من المال ، ويطلب اسعافه بعدد من الدنانير ، فاشتد غيظ الوالد ، وكتب الى ابنه بلغته الزراعية ما يأتي

الى ولدنا فلان

في كل بوستة توصل لنا أخبار عنك فغلية جداً ، خليت رقبتي طول السمسمه الله يقطع رقبتك ، فاذا كنت لا ترجع عن المشي المسخره فاننا نركب الوابور ونحضر عندك ونضربك علقة سخنة ونرجع بالتالي ، ويكون في علمكم اننا اقسمنا يمين السفه باننا لا نرسل اليكم مصاريف مطلقاً لاجل ان تتوب من صرف النقدية من غير عقل ، هذا ومن طيه حوالة بمبلغ كذا مرسل من انست والدتكم بدون علمنا ، وهي منتظرة الافادة بالوصول والسلام

والدكم

ومن الناس من يتجاوزون حد المعقول حتى فيما ينطقون به من خير أو شر ، قال بعضهم لصديق له : كنت بالأمس في بيت جاري فلان ، فدار بيننا الحديث عن المشهورين بالنسيان ، وقد قص عليّ من نوادر هؤلاء ، ان احدهم كان مع صديق له على شاطئ نهر فاراد ان يقدّم لصديقه (سيجارة) ويبصق في النهر ، فألقى السيجارة في النهر وتفل على وجه صاحبه ، واني لم ار في القصة يا صديقي شيئاً عجيباً ، فقد حدث لي ما هو اعجب ، دخلت في غرفة النوم مرة ، لاعلق ثيابي على (الشماعة) وأنام على سريري ، فأدى بي النسيان الى ان اضع ثيابي على السرير وانام بالشماعة الى الصباح

ومن عباد الله من يتعدون هذا الحد في السياسة ، الى هنا يجب ان اقف ، ليس الخوض في السياسة من شؤون الموظفين

---

(١١)

شهادة الزور

قلّت حيل البعض في الارتزاق من الطرق المشروعة ، فلم يجدوا أمامهم أوفق من شهادة الزور ، رأوها خيراً من التلصص ، واحسن من الاحتيال ، وأرقى من ضروب الشعوذة ، وأشرف من التسوّل ، مأمونة العاقبة ، لا سجن ولا مغرم ، باب المساومة فيها اوسع منه في تجارة القطن ، وان شاهد الزور يستطيع ان يجلس في كل مكان فخم ، بجانب كل عظيم ، يقصده ذوو الحاجة ولا يقصد واحداً منهم ، وقد تخفى حقيقته على كثيرين ، فيبجلونه لحسن هيئته ، وليس للناس الاّ ما ظهر

هؤلاء ، كفانا الله شرهم ولا اكثر منهم ، لا يعلمون انهم انزلوا أنفسهم الى الدرك الاسفل من طبقات المجرمين ، فكانوا سلاح اهل الباطل ، وأعداء الحقيقة ، وشيعة الظالم ، يعرف الواحد منهم رجلاً منذ ساعة ، فاذا ما وقف بعدها بين يدي القضاء قال : هذا فلان بن فلان بن فلان ، وسرد بعد ذلك ما لقّنه اياه المدعي من

بهتانه ، فلولا هؤلاء لما وجد المدعون بالباطل معيناً لهم على ما يدّعون

ان من لطف الله بعباده ، ان يكون في رجال القضاء من تخترق نظراتهم الصدور ، فيعرفون ما فيها من طيب وخبيث ، اولئك لا تخفى عليهم خافية من امر هؤلاء ، ولولا هذا اللطف الالهي اضاع من الحقوق ما لا يحصى

حدثني خبير بأحوال هذه الفئة قال : كان في أواخر حكم الخديو المغفور له محمد توفيق باشا فتى ورث عن ابيه مالاً وفيراً ، بُلي الفتى برفاق السوء ، فما هدوه الى خير يعمله ، اضاع ماله ، لم يجد عملاً يرتزق منه ولا معيناً من بين أولئك الرفاق ، وفي النهاية ، دله بعضهم على طريق الشاهدين زوراً ، واقنعه بقوله ان سرّ افلاسك لم يعرفه الاّ القليل ، وانك بهذه الوجاهة البادية عليك لتستطيع ان تخدع كثيرين ، فتربح من المال ما لا يقل عما اضعته

اقتنع الفتى بما سمعه ، وعزم على الانضمام الى هذه الزمرة ، فاتخذ من بيته مكاناً ، اصلح شأنه ليكون لائقاً باستقبال زائريه ، واختار ثلاثة ممن يعرفون عشاق المشاكل ، ومحبي الادعاء ، ليرشدوهم اليه ، ولهم في هذا السبيل اجر معلوم

جاءه ذات يوم مدع بنصيب في ميراث لا حق له فيه ولا مثقال ذرة ، وبعد اخذ ورد ، اتفقا على الاجرة ، ونقد المدعي الشاهد

ما يقرب من نصفها ، وفي اليوم الموعود ، ارتدى الشاهد افخر ثيابه وذهب الى المحكمة

رأى القاضي فتى مقبلاً عليه ، في اثواب مما يلبس الامراء ، على رأسهُ طربوش مائل الى اليمين يكاد يقع ، وعينا الفتى ترقبان الزر كلما اهتز ، فما شك القاضي في انه شاهد مأجور ، دلّته فراسته على ان الفتى حديث العهد بمهنته ، فعقد النية على اظهار ما يخفيه الشاهد من حقيقته ، سأله عن اسمه وسنّه وصناعته ، ثم نظر اليه لحظة وقال : ولكن هل ترى يا ولدي من اللياقة والادب ان تقف امام القضاء بهذه الهيئة ، ما هذا الطربوش المائل ، اصلح طربوشك ، لم يتوقع الفتى ان يقابل بهذه الشدة ، فهاجت اعصابه ودفع الطربوش من اليمين فمال الى الشمال ، قال القاضي : اصلح طربوشك يا افندي ، هذه اشد من الاولى ، الفتى لم يسمع من الناس الاّ قولهم ياسعادة البك ، والقاضي يجرده من رتبته المكسوبة (بوضع اليد) واقرارّ الجمهور ، فما كان منه الاّ ان ضرب الطربوش (بالبوكس) فأطال على قفاه ، قال القاضي : يا هذا ضع طربوشك في متوسط رأسك ، ففعل ، فسأله قائلاً : قرر الآن ما تعلمه في هذه القضية ، ففكّر الفتى فلم يذكر كلمة من شهادته الملفقة ، انسته حدّته وخجلته كلما كان يحفظه ، فلم يجب بحرف ، قال القاضي وقد ادرك حال الفتى : مالك

لاتتكلم ، فأجابه بقوله لا اعلم شيئاً ،فضحك السامعون وتبسم القاضي فسأله قائلا : اذاً لماذا جئت الى هنا ، قال الفتى حانقا : جئت لا تعلم كيف يلبس الطربوش

وبعد ، فليست شهادة الزور هي وحدها ما يؤديه هؤلاء في المحاكم ، كل شهادة تنافي الحق فهي زور ، وفينا من تلذّ لهم هذه الشهادة في شؤون أخرى وظروف معينة ، اؤلئك من يشهدون بغير الواقع وينكرون المحسوسات

---

(١٢)

(الفنون الجميلة)

بينا نرى فريقاً منّا مولعاً بالشعر والتصوير والموسيقى وغيرها ، نرى فريقاً آخر يجهد النفس في ايجاد ما يعتقده اجمل من تلك الفنون ، أرى هذا الفريق اسرع من الاول في ايجاده ما يعمل ، وأقدر منه على بقاء الاثر في الانفس ، قد يسمع الواحد منا قطعة موسيقية ، او يرى صورة في لوحة ، فلا يذكر بعد ساعةما سمع ولا ما رأى ، لكن ، هل يستطيع احدنا أن ينسى في يوم أو يومين (محفظته) التي اخذت منه بالطريقة الامريكانية ، هذا محال

زارني منذ عام رجل صالح من اهل القرى ، قال، أأقص عليك

ما صادفني في يومي ، قلت هات ما عندك ، قال : كنت سائرا في ميدان ابراهيم باشا (اللي راكب الحصان) فبرز اليّ شيخ عتيق وقال الفاتحة ، فقرأت معه الفاتحة ، ثم صافحني وقبلني ، وامسك يميني بيمينه وقال (روح الله يحنن عليك) فأخذت طريقي الى الموسكي لاشتري بعض ما احتاج اليه ، حتى اذا ما بلغت المكان الذي اقصده تذكرت في ان أخرج من محفظتي ورقة ذات خمسة من الجنيهات ، فمددت يدي الى جيبي فلم اجدها فيه ، اتظن ان ذلك الرجل هو السارق ، قلت نعم ، انه سرقك باحدى وسائل الطريقة الامريكانية ، وما دعا لك الا اشفاقاً عليك بعد ما اصبحت لا تملك شيئاً ، قال هذا عجيب ، اني لم أسمع قبل اليوم بهذه الطريقة التي تقول عنها ، فأين شيخ هذه الجماعة ، أريد ان أشكو اليه ما صنع معي احد اتباعه ، قلت يا هذا هؤلاء لا شيخ لهم ، انهم جماعة من اللصوص ، ابتدعوا هذه الطريقة ولهم فيها تفنن غريب ، فخير لك ان ترفع شكواك الى الحكومة ، انها فطنت بما يعملون ، وقد قبضت على نفر منهم غير قليل ، وفي هؤلاء ظرفاء يأخذون ما في المحافظ ، ثم يردونها الى ذويها بواسطة البريد

ومن مثل هذه الفنون ، ما يعمل بعض الكمسارية في قطارات الترام مع الراكبين ، قسم الله لي أن اركب الترام مرة ، قبل ان تزيد اجرته مليماً ، فجلست في الصف الاول من مقاعد العربة ، والتفت

الى الراكبين عن غير قصد ، فرأيت رجلاً يحاول النزول اثناء المسير ، وقد دسّ الى يد الكمساري شيأً ، لمحته فتبين لي انه تذكرة الركوب ، قلت في نفسي يا عجبا ، رجل يسرق وآخر يعينه على جريمته مع دفع الثمن ، ثم أبصرت بالكمساري وهو يبسط الورقة على دفتره ، ليجعلها صالحة للاستعمال مرة أخرى ، فحوّلت وجهي عنه ، ولبثت اراقب حركاته ، فاذا به قادم اليّ وقف امامي متظاهراً بقطع الورقة من الدفتر ، فاخذتها منه واعطيته القرش ، لكنني تركت التذكرة للهواء فطارت ، قال الكمساري يا افندي (طيّرت الورقة ليه) قلت له (وانت طيّرت القرش ليه)

ومن ارباب هذه الفنون اناس رقاق القلوب ، لا يرضيهم ان يأخذوا ما يريدون الاّ بعد الاستئذان والسماح ، حدثني أحد الصناع ، وهو رجل كما يقولون « على نياته قال : خرجت يوماً من منزلي وبي صداع شديد ، اضطررت بسببه ان اعصب رأسي ، ومشيت الى ان بلغت قهوة بالقرب من الجامع الحسيني الشريف ، فجلست على احدى (الدكك) ورفعت قدميّ لاسند رأسي على ركبتيّ ، واني لكذلك ، اذا برجل يقول لي ياشيخ ، فلما نظرت اليه ، قال ارفع عن رأسك هذه الخرقة البالية ، ففعلت ، فضغط على جبهتي بسبابته وابهامه قائلا أآخذه ، قلت خذه ، فرفع اصبعيه

ومضى ، لقد شعرت بشيء من الراحة ، وهممت بأن اقوم ، فلم اجد حذائي ، انه أخذه بعد الاستئذان

وبعد ، فلو صرف هؤلاء ذكاءهم فيما ينفع من الاعمال ، لاستطاعوا ان يفيدوا المجموع الانساني فائدة تذكر ، وان يعيشوا من رزق حلال ، لا يأتيهم من طريق الاضرار بسواهم ، ومما يحزن العاملين لخير العباد ان يكون بين اؤلئك المتفننين في الشر اناس لم يفلحوا في ادوار التعليم ، رغبوا عنه فيما استسهلوه من مغنم محرّم ، ولهم في طبقات الناس امثال وانداد ، وقفوا في منتصف الطريق بين الجهل والعلم ، فتفننوا في سلب المال بضروب التهديد وأنواع الوعيد ، هذه السجون ملأى بمن وقعوا منهم تحت طائلة العقاب ، بعدت شرورهم عن الخلق ولم تبارح جسومهم ، لطف الله بهم

هذه خاتمة (الدقات على اوتار القلوب) ، فان كنت موفّقاً ما في نفوس الناقدين من طلاّب الاصلاح وعمّال الخير ، فما اسعدني ، وان كنت مقصّراً ، فالله يعلم اني ما تعمدت تقصيراً في هذا الواجب العظيم